الدعم العربي والإسلامي للسعودية: هل يغيّر التوازنات؟

■ حميدي العبدالله

قبل أن تبدأ السعودية مغامرتها العسكرية في اليمن، حرصت على حشد أكبر دعم عربي وإسلامي لها في شنّ عداونها العسكري. وحظيت بمشاركة جوية من السودان والأردن، ودعم سياسي، والتلويح بدعم عسكري، من مصر التي حرّكت (4) قطع بحرية باتجاه البحر الأحمر، ومن تركيا التي أعلنت وقوفها إلى جانب السعودية.

ويعتقد كثيرون أنّ هذا الدعم، سيوفّر فعالية خاصة للتدخل العسكري في اليمن، لكن هل فعلاً مساندة هذه الدول يمكن أن تعزز قدرات السعودية في حربها على اليمن؟

حتى هذه اللحظة، انسحبت باكستان من التحالف، أو على الأقلّ زجّ باسمها من دون أخذ موافقتها، وأعلنت أنها لن تشارك في أيّ عملٍ يعزّز الانقسامات الإسلامية، وحتى على فرض شاركت باكستان جوياً وعبر عمل بري في الحرب على اليمن، فهل ستضيف شيئاً هاماً، ومعروف أنّ ضرباتها الجوية وهجمات جيشها الكبير لم تستطيع القضاء على طالبان باكستان في وزيرستان وغيرها من المناطق الباكستانية؟

تركيا المرشحة نظرياً لتقديم الدعم، هل نجحت عبر هجماتها الجوية وجيشها البري منذ عام 1984 في القضاء على الأكراد في جنوب تركيا، ولماذا يتوقع المراهنون أن تحقق في اليمن ما عجزت عن تحقيقه داخل أراضيها؟

مصر، هل تستطيع أربع قطع بحرية، وحتى المشاركة في الهجمات الجوية وإرسال قوات برية، في تحقيق شيء مهم في اليمن، في حين أنّ الجيش المصري فشل في القضاء على الإرهابيين في سيناء الخالية تقريباً من السكان والمسطحة جغرافياً على امتداد أكثر من أربع سنوات؟

السودان، المشارك الآخر في العدوان، والذي فشل في القضاء على المتمرّدين في دارفور، وفي الجنوب الذي حقق الانفصال، هل هو قادر على النجاح في اليمن في الوقت الذي فشل في عقر داره.

إذا كانت هذه الدول الأكبر والأكثر أهمية في عدد جنودها وقدراتها العسكرية فشلت داخل بلادها، فهل الأردن قادر على تغيير هذه المعطيات عبر مساهمته الجوية، وما الذي حققه عندما شنّ الهجمات ضدّ «داعش» في سورية، رداً على حرق الطيار الأردني؟

لا شك أنّ جيوشاً مرشحة للمشاركة افتراضاً في الحرب على اليمن، عانت من كلّ ذلك، لن تكون قادرة على تحقيق نتائج مغايرة لما حققته في بلادها، وبهذا المعنى، فإنّ الافتراض بأنّ مشاركة هذه الجيوش في الحرب على اليمن ستشكل إضافة نوعية، هو افتراض خارج عن أيّ تحليل جدّي، وخارج عن أيّ منطق سليم، وما ينطبق على التحالف الذي يستهدف اليمن هو المثل الدارج «التمّ المتعوس على خايب الرجا».

الحرب على اليمن تمرير هادئ لتوقيع تاريخي

■ روزانا رمال

لا يمكن في أي حال من الأحوال اعتبار الحرب على اليمن ارتجالاً سعودياً منفرداً جاء سريعاً لصدّ هجمات الحوثيين وإيقاف تقدّمهم، تماما كما يتعاطى الغرب مع تقدّم «داعش». لا يمكن أيضا اعتبار أنّ السعودية التي لم تخض حروباً رسمية كهذه تخوض غمار حرب مجهولة دون دراسة تبعاتها أو التعاطي معها ومع ظروفها كحساب خاص.

حرب دقيقة كهذه تأتي في وقت حساس جداً مفترض أنّ الولايات المتحدة الأميركية تعرف تداعياتها بشكل جيّد أيضا، فالحرب السعودية على اليمن تأتي في آخر مهلة توقيع الاتفاق التاريخي مع الإيرانيين أيّ مع نظام ولاية الفقيه بتعبير آخر.

يقول نتنياهو إنّ توقيع الاتفاق سيحمل ما لا تتوقعه «إسرائيل»، بمعنى آخر ما لم يكن في الحسبان. كلام رئيس الوزراء «الإسرائيلي» يعكس قلق الحلفاء الكبير من هذا الاتفاق، ويترجم بصيغة أخرى مخاوف حلفاء الولايات المتحدة السعوديين من قلق تشاركوا فيه مع «إسرائيل»، بعبارة مشابهة قالها نتنياهو أمام الكونغرس في خطابه الأخير، والتي كانت تأكيده على أنّ الاتفاق سيكرّس سيطرة إيران على أربع عواصم عربية هي دمشق وبيروت وبغداد وصنعاء، ليعيدها سعود الفيصل أمام جون كيري ومجلس التعاون بصيغة أسماء البلدان نفسها.

الحرب السعودية اليمنية، على خطورتها، لا يمكن أن تكون محور الحدث في أذهان «الإسرائيليين» أو الخليجيين أو أي معترض على سياسات أميركا، لأنّ بيت القصيد هو ما يجري اليوم في لوزان السويسرية، والمعلومات التي تشير إلى أنّ الاتفاق نضج تقريباً.

لا تغامر السعودية بمكانتها ومواقفها، وكذلك بقرارات حربها وسلمها، واتخاذ قرار الحرب جاء خطوة مشابهة لعملية القنيطرة التي نفذها «الإسرائيلي» قبل ذهاب نتنياهو إلى الكونغرس ليحمل معه إنجازا يقول فيه للأميركيين: «لماذا الذهاب إلى اتفاق؟ ما زلنا أقوياء».

لم يستطع نتنياهو التباهي بالعملية لأنّ الردّ من حزب الله ومعادلة حماية السيد نصرالله لرجاله والصدّ المباشر الحازم جاءت واضحة برسائلها عند «الاسرائيليين».

عملية مشابهة لكن ليس لعرقلة الاتفاق مع إيران الذي سلك طريقاً سليماً، إنما لطلب شروط مناسبة للنفوذ السعودي الخليجي مقابل إيران التي ستعلن بطريقة أو بأخرى ملكة الساحة بعد التوقيع مع الدولة الأقوى في العالم اتفاقاً بقي خيالياً التقدّم نحوه حتى الأمس القريب.

لم تمنع الولايات المتحدة السعودية من اتخاذ قرارها، ولم تقلق حتى من أن يؤدّي هذا لأيّ تشويش على الاتفاق مع إيران، لا بل شدّت على يد الرياض، وأرسلت الحشد المساند من المواقف الموالية للعملية، واستحصلت الولايات المتحدة مشاركات دولها الحرب إلى جانب السعودية.

تريد الولايات المتحدة حماية النفط والمال وقواعدها العسكرية في الخليج، وهي بالتأكيد لا تمهّد الطريق لإيران لبسط نفوذها عليها، لكنها في الوقت عينه تسعى إلى ترويض السعودية وجرّها نحو التفاوض مع إيران بفعل الحاجة إليها لإنهاء الحرب أوتوماتيكياً.

دخلت السعودية حرباً لم تحرز فيها تقدماً ولم تستطع حتى الساعة إظهار أنها قادرة على صدّ الحوثيين ووقف تقدّمهم ومدّ يدها كقوة إسناد يعود على أساسها خصوم أنصار الله إلى صنعاء وعدن وغيرها بعد حماية ظهورهم، وبالتالي تنجح السعودية وتفرض ما تريد أو تعرقل ما تريد.

الاتفاق النووي التاريخي أقرب من أي وقت مضى والموافقة على حرب اليمن تمرير أميركي هادئ لتوقيع تاريخي قادم من دون ضجيج الحلفاء.

«توب نيوز»

من يفضح السعودية

حمل رئيس المخابرات «الإسرائيلية» إلى السعودية تقارير تكشف حجم التنامي في قوة الحوثيين الصاروخية واقترابها من بلوغ مستوى ما يملكه حزب الله، وعلى الخرائط أظهر للسعوديين أنّ اكتمال هذه القدرة يعني إكمال الطوق الصاروخي على «إسرائيل».

تعهّدت السعودية بقيادة الحرب على اليمن مقابل تعهّد «إسرائيلي» بالدعم الاستخباري واللوجستي وضمان قبول أميركا بالحرب مقابل الاتفاق الأميركي مع إيران.

في الصحافة «الإسرائيلية» قالوا إن رئيس استخباراتهم أظهر الخطر المشترك لصواريخ الحوثيين على «إسرائيل» والسعودية، وكيف يطال الرياض الصاروخ الذي يصل إلى ديمونا من الحديدة.

خرج وزير خارجية منصور هادي بعد غارات السعودية على مرفأ الحديدة في اليمن ليقول على «إسرائيل» أن تطمئن اليوم لأنّ الصواريخ التي تشكل خطراً عليها قد دمّرت.

سواء دمّرت أم لم تدمّر الصواريخ، وسواء بقي الخطر أم زال، المهمّ هي الفضيحة، فالقضية ليست اليمن ولا الشيعة والسنة، بل أمن «إسرائيل».

قبل نصف القرن قامت السعودية بدعم سلطان اليمن الإمام يحي الشيعي بالتنسيق مع شاه إيران الشيعي ضدّ جمال عبد الناصر السني، والقضية كما هي اليوم أمن «إسرائيل».

التعليق السياسي

ولماذا لا يرقصون على أغاني السرب الوهابي؟ كلام مع الله من جبل دمشق...

■ نارام سرجون

لست موسى ليكلمني الله من جبل سيناء كي يطمئن قلبي... واذا كان الله لا يكلم البشر الا من على جبل سيناء فإنني أعتذر إنْ قلت بأنّ قلبي لم يعد مطمئناً لجبال سيناء... بل انه لا يطمئن إلا من على جبل دمشق... وانْ كان هناك كلام سأقوله لله من فوق جبل دمشق فإنه لن يكون لأطلب عفواً ولا غفراناً لأنّ قلبي مطمئن طالما أنه في الشام وقد رضيت عنه أمه الشام... ولن أطلب من الله مقعداً في الجنة التي حجزها المؤمنون واحتكرتها العمامات... ولا أريده أن يسكنني في حوصلة طير أخضر من طيورها كما وعد... ولا أن يحيطني بالغرانيق... بل اني كنت سأطلب منه أن يحوّل الغيوم الى خيول... وأن يسكب لي ضوء الشمس في زجاجات أسكبها في عيون هذا الشرق المظلم الأعمى... وأن يطحن لي الزمن المستقبل في مطحنة القهوة لأسقي فم هذا الشرق المريض المثقل بالكرى والنعاس بالماضي عله يفيق... ولطلبت منه أن يحيل الغيوم الى مكتبات عملاقة تمطر كتباً وعلماً لا ماء... وينهمر منها أرسطو وسقراط وابن رشد وابن عربي... لا يتوقف سكبها حتى يحدث طوفان نوحي آخر ليس فيه ماء بل كتب لتقرأ... طوفان يجرف فيه كلّ ما يكتب في هذا الزمن الوهابي الصهيوني... هذا الزمن الذي يرقص فيه «الإسرائيليون» فرحاً على جثثنا وفي مطاراتنا... لأنّ أمة يرقص أعداؤها على ترابها لا تستحق هذا التراب ولا أن يسقى هذا التراب ماء... ويستحق الراقص أن يمتلك التراب ومن فوق التراب... وتستحق طوفاناً نوحياً يكون فيه طوفان نوح الأول جدولاً صغيراً...

فقد شاهدنا كيف رقص «الإسرائيليون» في مطار عمان دون توقف ودون خوف ودون وجل... لقد سقط عامل الخوف من غضب العربي... ولم يعد العرب يخيفون إلا أنفسهم... رأينا كيف كان الراقصون «الاسرائيليون» مبتهجين وكأنهم في حفلة في حديقة بيتهم، وهم يرقصون بتحدّ وسط ذلك القطيع العربي المذهول المشلول في مطار عربي... وكان القطيع يراقب الرقص اليهودي كما يراقب قطيع البقر الوحشي – وهو لا يتوقف عن قضم الحشائش والبرسيم – مجموعة من الضباع تفترس عجلاً منها... لم يجرؤ ابن امرأة على ان ينهرهم... ولا أن يصفعهم... ولا أن يرفع عقيرته محتجاً ولا أن يرميهم بجريدة تثرثر عن التضامن العربي والغضب العربي والثورات العربية والربيع العربي... وكان العرب حولهم يتفرّجون كالأذلاء ويشبهون من يجلس يستمع الى صرير سرير زوجته يعتز بعنف من وطء سيده لها... وبالطبع لم يبق في الأردن دقامسة واحد يطلق عليهم رصاصة واحدة... فقد أفرغ أشاوسة الأردن من المجاهدين رصاصة في سورية والعراق واليمن لأنهم ذهبوا جميعاً يريدون قتال السيد حسن نصرالله والرئيس بشار الأسد وإيران... ولم يبق في الأردن سوى ملك أمه يهودية وملكة تمارس الكاباالاه... ولو كان من في المطار مسلمون شيعة يلطمون فيها أو ينشدون الأغاني الحزينة على استشهاد الإمام الحسين لامتلأ المطار بالمدافعين عن دين الله وسنة رسوله ولشهدنا موقعة قادسية في قلب المطار... وغسلت صالاته بالدم «الصفوي» المراق على الجنبات...

عجبت لـ«الاسرائيليين» كيف لا يرقصون في كلّ بيت عربي... وفي كلّ دار... وفي كلّ غرفة... وعلى كل سرير... وليس في مطار... وهم يرون العرب يقتلون العرب والمسلمين يقتلون المسلمين... وأهل داحس يقتلون أهل الغبراء... وأهل الغبراء يقتلون أهل داحس... عجبت لـ«الاسرائيليين» كيف لا يرقصون في مطار القاهرة كلّ يوم... وفي مطار دبي كلّ ساعة... ومطار الكويت ومطار الدوحة ومطار استانبول ومطار بيروت... ومطار بنغازي ومطار الدار البيضاء ومطار الخرطوم... ومطارات آل سعود... فكلّ مطارات العرب صارت ملكهم... إلا مطار دمشق الذي يريد زهران علوش أن يفتحه لهم على سنة الله ورسوله محمد بن عبد الوهاب...

كيف لا يرقص «الاسرائيليون» وقد تبرّع العرب لأكل العرب؟... وكيف لا يرقصون وقد صار بال العربي المؤمن غير مشغول بسؤاله المحوري التقليدي في الوجود وأقصد سؤال: الحلال والحرام؟... فلم يعد الحلال والحرام هما ما يؤرق العربي... بل فقه النكاح... ولم يعد الناكح والمنكوح مشغولين بالحلال والحرام طالما انه في أرض الجهاد... ولم يعد السؤال إنْ كان القتال الى جانب الناتو حلالاً أم حراماً... وإنْ كان قتل الناس حلالاً أو حراماً... وذبح الفقراء حلالاً أم حراماً... لأنّ سؤالاً آخر حلّ محلّ سؤال الحلال والحرام وهو: من هو السني ومن هو الشيعي... فأن تكون سنياً أو لا تكون... تلك هي القضية!

كيف لا يرقص «الاسرائيليون» وقد فصلنا الخلية عن الخلية والذرات عن الذرات؟ فصارت عندنا ذرات شيعية وذرات سنية... وتقاتلت الكتروناتنا السنية مع الكتروناتنا الشيعية... وصارت القنابل الذرية إما شيعية أو سنية... والهيدروجين السني لا يلتقي بالأوكسجين اذا كان شيعياً ولو مات الشرق كله من الظمأ... فلا هطل القطر...

تخيّلوا أنني منذ عام تقريباً تساءلت بسخرية في مقال بعنوان (أنا أذبح إذاً انا موجود... كيف اخترع النظام السوري «داعش»؟ وكيف تشيّع أوباما؟؟

وقلت بالحرف:

«... لذلك وحسب ديكارتية الثورة السورية... إذا كانت داعش من صنع النظام فلمَ لا يكون بنيامين نتنياهو له كرامات الأولياء... والمجاهدين... وهو الذي حمى اسرائيل والثوار العرب من مغامرات حزب الله... بل لمَ لا يكون باراك حسين أوباما عميلاً «مجوسيا» لإيران وهو شيعي صفوي لأنّ اسم أبيه حسين؟ وهو لا شك يحتفل بعاشوراء وليس بعيد الميلاد... ولهذا فإنه متآمر على الثورة السورية كونه شيعياً من كينيا؟! أسئلة من مقاس أسئلة نظريات الطيور والأسماك والضفادع التي على أشكالها تقع»...

ولكني لم اكن أدرك انّ السؤال يمكن ان تتعاطاه قوة عقلية سليمة... وضحكت جداً أنني سمعت من إحدى السيدات «الحرائر» بعد عدة أسابيع أنها سمعت انّ أوباما شيعي... ضحكت رغم أني كنت أعلم أنني مصدر تلك النكتة... لكن لم أصدّق نفسي وأنا استمع الى محي الدين اللاذقاني وهو يتبنى هذه النظرية ويفسّرها كما يفسّر عالم البيولوجيا ظاهرة بيولوجية علمية أو يشرح سيكولوجية المرأة والرجل... فقد قال انّ أوباما كيني من اب كيني شيعي وأنّ الصغير اوباما تأثر ببيئة والده في مومباسا وحمل التشيّع في وجدانه اللاواعي... وانّ اسمه الوسط هو حسين لأنه ينتمي إلى عقيدة اهل الحسين الشيعة... ولذلك فإنه يتعاطف مع إيران وحلفائها...

صدّقوني لا أعرف كيف تلقيت الأمر... لأنّ محي الدين اللاذقاني كان يباهي أنه كتب قصيدة ثائرة في شبابه سمّاها «أغنية خارج السرب»... وأذكر أنني في صدفة غريبة في التسعينات وفي زيارتي إلى إحدى العواصم «العربية» كنت في دعوة في مكان عام واستمعت الى رجل أصلع أطلق لحية كبيرة وطاف سالفاه كشلالين ينبثقان من صخر الصلعة الأملس... كان يقول للجالسين معي انه سجن في سورية لأنّ الدولة أيام أحداث «الإخوان» وضعته في السجن لحمايته من غضب «الإخوان» على تجرّؤه على منطلقاتهم وبسبب تلك القصيدة ولأنه كان أميَل الى الماركسيين! وكنت أراقب صامتاً وأحسّ بالتعاطف مع «البطل» وأرمقه ببعض الإعجاب بشجاعته... وإذ بأغنيته التي لم أفكر في قراءتها بعد تعليق صاحبي، ليست خارج السرب كما روّج وثرثر... بل من داخل السرب الوهابي... وإذا بميله الى الماركسيين يتجلى في إبداع اكتشاف شيعية أوباما لأنّ أوباما لا يحرّر له سورية ولا يستجيب لقلق السعودية... عقل كهذا لا بدّ أنه يعتقد أنّ الأرض يحملها ثور على قرنيه... ولا يحتاج إلا مقصاً يقص به الزوائد الدودية في عقله... أليس عيباً أن يصل الأمر ببعضنا أنه لم يعد يهمّه ان يبقي على مقدار ضئيل من احترام الذات وبعض العقلانية في الطرح... وأن ينجذب الى أية خرافة... والى أية طاولة في مقهى أو كازينو... وان يطارح أية نظرية الغرام... وأن لا يهمّه الا مجامعة نزوة الكراهية... حتى وإنْ كانت هي بعينها ثقافة النكاح...

مسكين اوباما... فالمسيحيون الجدد ينبذونه لأنه يحمل اسماً مسلماً من أحبّ الأسماء الى قلوبهم... حسين... والبيض يرون فيه رجلاً أسود فقط... والمسلمون يرون فيه شيعياً صفوياً... والله عيب يا محي الدين أن يكون عقلك مقلوباً بهذا الشكل...

لا أدري كيف سينتهي هذا الوباء الذي ينتشر... فسبحان من سخر لـ«الاسرائيليين» كل هذا «وما كانوا له مقرنين»... وسبحان الذي جعلنا نرى كلّ شيء في الكون شيعياً وسنياً... الكرملين والبيت الأبيض والرمل والبحر والقمر والشمس... حتى الطيور التي تسافر فوق إيران شيعية... والطيور التي لا تمر فوق إيران سنّية... والريح التي تهبّ من ايران شيعية والتي تهبّ عليها سنية... ولا ندري مذهب ديفيد كاميرون فربما أثبت أنه من أهل السنة إذا لم يتقارب مع إيران، فيما ينبش اللاذقاني تاريخ الرئيس الصيني ويكتشف أنّ جده كان محارباً في جيش جنكيز خان أو هولاكو وعندما دخل بغداد وأغرق كتبها فإنه تعرف على مذهب آل البيت وتشيّع منذ ذلك الوقت وأحبّ الحزب الشيوعي الصيني لأنه حسبه شيعياً...

وبعد هذا لا نعرف لمَ يرقص «الاسرائيليون» في المطارات العربية... وهم يرون عشرة جيوش عربية ومن بينها جيش أبو مازن الفلسطيني (الذي سيتحرك حسب منسوب رواتبه التي ينتظرها من الجنرال دايتون) تلتحم لقتل الفقراء في اليمن... الجيوش التي صدئت بنادقها وطائراتها وصدئ رجالها وصدئت شنباتهم ولم تتحرك منذ ستين عاماً من مكانها تتنحنح الآن ويدبّ النشاط في صدئها ويجري الزيت الأسود في مفاصلها وعروقها... هذه الجيوش التي تيبّست مفاصلها والتحمت فقرات ظهرها تريد أن تقفز وتثب نحو اليمن... انها الجيوش التي صدئت فلسطين بانتظارها... وصدئ الغضب الساطع... وصوت فيروز وصدئت المسامير في أحذية «الاسرائيليين» وهم يقفون ينتظرونها للقتال منذ قرن كامل...

وكما ملأنا يوماً قلب عليّ قيحاً... وشحنّا صدره غيظاً... فإنني لم أعد أذكر من كل شعر العرب في هذه الأيام ما أقوله للعرب سوى أبيات أكرّرها منذ أربع سنوات لشاعر دمشق الأكبر نزار قباني وهو يشكو من هذا الزمن... زمن الأغاني خارج السرب التي يرقص على نغماتها كلّ صهاينة العالم في مطاراتنا:

قادم من مدن الملح إليكم
وسؤال واحد يحرقني...
ما الذي يحدث في تاريخنا؟
سمك يبلع خلفي سمكاً
شجر يأكل خلفي شجراً
تغلب تطعن خلفي مضرا
خالد يذبح خلفي عمرا
نحن لم نقتل بسيف أجنبي
بل قتلنا كذئاب...
بعضنا

الى أبناء هذه الأمة التي تغني خارج سرب العقل أهديكم هذا المشهد لرقص يهودي فوق جثث السرب:

https://www.youtube.com/watch?v=49-—pM17LhQ

وهذه هي أغنية خارج السرب لصاحبها الماركسي المقلوب... لا أدري هل تبكيكم أم تضحككم أم ستذرفون دموعكم من عبثيتها! انها أغنية لا تنتمي الى أي سرب... بل أغنية من داخل القطيع الوهابي الصهيوني...فتمتعوا:

https://www.youtube.com/watch?v=TRVvGOfym-w

ولكني أقول لكم بأنّ كلّ هذا لن يغيّر في عزمنا شيئاً بل سيزيدنا يقيناً أننا نحن من يمكن ان نكلم الله لأننا نقف على جبل دمشق... لأنه زمن لا يطلّ الله فيه ولا يتكلم من جبل سيناء طالما أنه لا يحارب الباطل... ولم يبق لله الا جبل دمشق يكلم الناس منه... ولذلك سنسقط الأغنية التي خرجت من السرب والتي بقيت فيه وسنسقط سرب الغربان... وسنسقط كل جناح طار مع هذا السرب... وقد يرقص الراقصون «الإسرائيليون» في كلّ مطارات العالم... إلا... في مطار دمشق...

وعد وعدناه... وقطعناه لله من فوق جبل قاسيون... أعلى قمم العالم...

خفايا الصراع في عبثية المشهد اليمنيّ...!

سومر منير صالح*

مع اندلاع حرب الخليج الرابعة على أراضي الجمهورية اليمنية، بدت معها الأسباب والدوافع ضبابية، وذرائعية، وكثر الكذب والتضليل الإعلامي، وحملت معها أسئلة حول الدوافع الحقيقة لما حدث، لنتأمّل قليلاً المشهد الفوضوي في «الشرق الأوسط»، والارتباك الأميركي الحاصل في إدارة الصراع على كامل الساحات المتوترة فيه، حيث تعدّدت الاستراتيجيات الأميركية في المنطقة عبر مراحل زمنية متعاقبة، والهدف بقي مستقراً نسبياً، وهو ضمان تدفق النفط الخليجي إليها وإلى الغرب، وضمان أمن «إسرائيل»، ومنع التوسّع الروسي في «الشرق الأوسط»، بدءاً من استراتيجية ملء الفراغ إلى استراتيجية الاحتواء المزدوج، إلى استراتيجية الدخول العسكري المباشر، لتنتقل بعدها إلى استراتيجية «الفوضى الخلاقة»، والتي تقوم على فكرة الهدم الكامل لكيانات «الشرق الأوسط»، سياسياً وثقافياً وحضارياً، وإعادة تشكيلها طائفياً وعرقياً بما يخدم مصالحها الحيوية، وتصبح معها «إسرائيل - لدولة اليهودية كياناً طبيعياً في شرق أوسط جديد كياناته السياسية دينية وعرقية وحتى مذهبية».

ظلت تلك الاستراتيجية سارية المفعول في الشرق الأوسط مع اندلاع أحداث الخريف العربي، انطلاقاً من تونس ومصر وليبيا واليمن، ولكن مع بداية ربيع العام 2011 (العام الأول للحدث السوري)، حصلت تغيّرات مهمة غيّرت معها العقلية الأميركية في التعاطي مع «الشرق الأوسط»، بدأت أولى تلك التغيّرات في اكتشاف واستثمار الاحتياطات الهائلة في النفط الصخري في الولايات المتحدة الأميركية، ومعها باتت أكثر قرباً من كسر الهيمنة السعودية على سوق النفط العالمي بحلول العام 2017، إضافة إلى حصول تغيّرات في بنية النسق الدولي متمثلة في إعادة تشكيل هذا النسق لتصبح معه روسيا ومن خلفها الصين قوة ثانية في النظام الدولي، مستفيدة من موقفها من الأزمة السورية بداية، ومن استعادة شبه جزيرة القرم لاحقاً، ومن حصول تغيّرات جيوبوليتيكية في الممرات المائية العالمية كقناة نيكاراغوا الجديدة وكرا والقناة القطبية الشمالية، الأمر الذي بدأ يهدّد القيادة الأحادية للنظام الدولي، وأعطى حرية تجارية أكبر لكلّ من روسيا والصين...

أجرت الولايات المتحدة تقييما لوضعها في «الشرق الأوسط»، وقررت نقل مركز الثقل في السياسة الخارجية الأميركية باتجاه الشرق والوسط الأسيويين، وكان لزاماً عليها تصفية الملفات المأزومة في «الشرق الأوسط»، وبدأت تتخذ الحوار وسيلة لحلّ مشاكلها العالقة، فكان الاتفاق الكيميائي السوري في العام 2013، وهو نتيجة مباشرة للحوار الروسي – الأميركي، والحوار وسيلة لحل الملف النووي الإيراني متجسّداً في «جنيف 1» الإيراني، ثم مفاوضات لوزان المستمرّة حتى الآن وسيلة لإنجاز الاتفاق...

هنا استشعرت مملكة آل سعود الخطر، فبدأت تتصرّف بتوتر في العلاقة مع الحليف الأميركي، في محاولة لجعله يرضخ ليس تحدياً بل محاولة لتوريطه أكثر في «الشرق الأوسط»، حيث يشكل الوجود الأميركي حجر الأساس في ضمان أمن الممالك الخليجية، فعمدت إلى خفض سعر البترول إلى ما دون 55 دولاراً، في محاولة منها لوقف الإنتاج الأميركي في النفط الصخري، والذي ترتفع تكاليف إنتاجه إلى أعلى من هذا الرقم، مما يعيد الاعتمادية الأميركية على المملكة من الناحية النفطية، وفي الوقت نفسه هو ضربة موجهة إلى الاقتصاد الروسي لإقناع الإدارة الأميركية بأنها حليف استراتيجي لا يمكن الاستغناء عنه، أيّ كنوع من تقديم أوراق الاعتماد مجددا، هذه السياسة وإن حققت أهدافاً ضدّ روسيا، إلا أنها أنعشت اقتصاد الصين بما يزيد الضغوط على الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأقصى... وبدأت المملكة في محاولة إجهاض كلّ التسويات في المنطقة بدءاً من جنيف السوري وجنيف الإيراني وانجاز انتخابات الرئاسة اللبنانية والحوار الليبي... وباتت سياساتها تهدّد المصالح الأميركية على المستوى الاستراتيجي، فاستمرار الغرق في أزمات «الشرق الأوسط» سيفقد الولايات المتحدة السيطرة على أماكن باتت أكثر حيوية بالنسبة إليها، نتيجة الظهور الروسي - الصيني القوي على المستوى الجيوبوليتيكي العالمي... فبدأت الولايات المتحدة تعيد تقييم الدور السعودي الجديد في المنطقة، وقرّرت اتباع استراتيجية مزدوجة تنهي معها حالة التوتر السعودي، وفي الوقت نفسه تكبّل المملكة بأثقال الصراعات بما يستنزف المملكة ومعها دول النفط العربية، لصالح العوائد الاقتصادية المرجوّة، فقرّرت العودة إلى سياسة الاحتواء المزدوج لأطراف الصراع، في سيناريو مشابه لحرب الخليج الأولى، فعمدت إلى سحب القوات الأميركية من قاعدة «العند» الجوية وتسليمها إلى حركة «أنصار الله» في إشارة ضمنية إلى موافقة أميركا على إسقاط الرئيس عبد ربه منصور هادي، وهو سيناريو كانت قد اتبعته الولايات المتحدة إبان غزو نظام صدام حسين للكويت، حيث أعلنت السفارة الأميركية في العراق آنذاك عدم تدخلها في الشؤون الداخلية للبلدين، ما نتج عنه لاحقاً الغزو الأميركي للعراق، وبالتزامن مع هذا الكلام قامت الولايات المتحدة بالتنسيق لوجستياً واستخباراتياً مع المملكة السعودية لضرب اليمن في محاولة منها تحقيق جملة من الأهداف...

أولا: رفع أسعار النفط العالمية الناتج عن التهديد الحوثي المزعوم بالسيطرة على باب المندب، والقلق الدولي من تطوّر المعارك في المملكة، وإمكانية نقل المعركة إلى الداخل السعودي، محققة بذلك عودة نجم النفط الصخري مجدّدا، وتقليل الاعتمادية الأميركية على النفط السعودي، ورفع الاعتمادية العربية الخليجية على واردات السلاح الأميركي، وهو ما حدث فعلاً... ففي اليوم الأول للضربات الجوية قفزت أسعار النفط 5 في المئة.

ثانياً: رفع مستوى التوتر السني – الشيعي في المنطقة بما يضع المصالح الإيرانية في «الشرق الأوسط» في مواجهة حلف عربي - إقليمي «سني»، تكون معه تلك المصالح في خطر دائم، ومعه تكون المزايا الاقتصادية المقدّمة من أميركا إلى إيران في آسيا الوسطى أكثر منفعة، بذلك تحاول الولايات المتحدة إبعاد إيران عن الحليف الروسي ومحققة استراتيجيتها في آسيا لوسطى، وهو ما سنرى دلالاته المباشرة في أفغانستان...

ثالثا: ومع بداية حرب الخليج الرابعة أضحت القضية الفلسطينية أجندة متأخرة على أولويات العرب، ومعها تصبح «التسوية» مع «إسرائيل» أقلّ تكلفة وأكثر جدوى لـ«إسرائيل» في ظلّ الاستراتيجية الأميركية التي عبّر عنها أوباما بقوله إنّ أمن «إسرائيل» في تحقيق السلام.

رابعاً: خلق بؤرة للصراع تكون ساحة جديدة لتجميع إرهابيّي العالم إذا ما تمّ التوافق الروسي - الأميركي مستقبلاً على حلّ ما للأزمة السورية.

طبعاً هذه السياسة الأميركية الجديدة في المنطقة يمكن تسميتها بـ«العبثية المنظمة»، وهي ليست استمرارا لاستراتيجية «الفوضى البناءة»، لأنها لا تعتمد على خطط لبناء كيانات جديدة، منبثقة عن نتيجة محتملة للصراعات، بل استمرار بؤر الصراع على فترات زمنية طويلة، بما يضمن الاستنزاف المستمرّ لدول تلك المنطقة... ويمنع قوى دولية من الاستفادة مما تبقى من ثروات في دول هذه المنطقة، ومعه تبقى «إسرائيل» في مأمن من أيّ خطر وجوديّ، بل من المحتمل تحوّلها إلى وكيل السلاح الأميركي... وحليف جديد لـ«التحالف العربي» في حرب الخليج الرابعة، في مقابل تهديد مزعوم لإيران نووية تكون «إسرائيل «في مواجهتها، وعلينا ألا نستغرب هذا الكلام فالانحطاط العربي وصل إلى مرحلة لا نستطيع معها رفض أيّ سيناريو مستقبلي.

* باحث بدرجة الدكتوراه

اليمن... جرس الإنذار الأخير

■ د. سلوى خليل الأمين - واشنطن

عاصفة من الحزم وأيّ حزم، هو قرار الحرب على اليمن، هذا القرار الحازم المشنف آذان الشعوب العربية بعد سبعة وستين عاماً من نكبة فلسطين، بات اليوم القرار الحدث والإنذار المتأخر عن أوان صدوره، حين طريق فلسطين والقدس لا تمرّ بسدّ مأرب، وديار اليمن السعيد، ومملكة سبأ، وجنة عدن، والسفوح الخضراء، وتلك الحضارات التي فعلت فعلها في التاريخ القديم، لأنّ مجلس التعاون الخليجي، وعلى رأسه السعودية، حاد عن الهدف القضية، وقرّر الحرب على اليمن، وضرب شعبه الآمن من حوثيين وشافعيين وصوفيين، والغاية تأديب كلّ وعدم رفع صوتهم عاليا بالمجابهة المحقة والمطالب العادلة، التي تحرّر هذا الشعب اليمني المغلوب على أمره، من رئاسات أكل الدهر عليها وشرب، وفسدت وأفسدت، ولم تمدّ الخير على بطون جاعت وأجساد هزلت، حيث لتاريخه لم يعرف اليمني سوى شظف العيش وقلة الزاد. لهذا كان تحرّك اليمنيين المحق، الذي دفعهم إلى توجيه الإنذار الأخير لأولي الأمر بالتنحّي عن السلطة، لتعميم العدالة الاجتماعية، وكان تحرّكهم منذ البدء سلمياً لم يزهق نقطة دماء، بالرغم من الجوع الكافر، والأمراض العصية على الشفاء في وطن أهلوه أصحاب كرامات وعزة نفس وشموخ عربي أصيل، لهذا ارتضوا السلام ملجأ، والأخوة مطلباً، في الوقت الذي صمّت فيه الآذان عن تلبية ما يطمحون إليه من رخاء وإنماء وتطوّر، أرادوه لوطنهم الذي كان في ما مضى سيد حضارة ومجد وسؤدد بين الأوطان.

هذا الوطن الذي رذله مجلس التعاون الخليجي برفض انضمامه إليه، لأنه البلد الفقير المتعب، الذي يجب أن يبقى تحت السيطرة، تماشياً مع السياسة الخليجية المتعالية والمتغطرسة، التي تنظر من عل إلى باقي الدول العربية، التي لا تملك الثراء الناتج عن تفجّر ينابيع النفط والغاز، التي جعلت دول هذا الخليج العربي مبتلياً بحكام يبدّدون ثروات شعوبهم بأمر من الدواوين الأميركية والصهيونية على حدّ سواء، بل جعلوها وسيلة الضغط على الشعوب العربية المستضعفة، وعلى قوى الصمود والتصدّي، وعلى كلّ من يتلفّظ بمحاربة «إسرائيل»، وبدعم القضية الفلسطينية وعودة أبناء شعبنا الفلسطيني إلى بيوتهم وأرضهم، التي جعلت الرئيس الأميركي باراك أوباما مؤخراً يدلي بتصريحه الموجه إلى نتنياهو رئيس الحكومة «الإسرائيلية» بالقول: «كفى منذ خمسين عاماً تحتلون أراضي الفلسطينيين، أعيدوهم إلى ديارهم».

هذا التصريح المفعم بالمفاجآت، منها: المباحثات الأميركية الإيرانية التي تسجل تقدماً ملحوظاً، إلى صمود سورية مدة أربع سنوات خلال حربٍ كونية إرهابية لم يتحقق خلالها ما خطط له وما رسم، وأيضاً عدم تمكن «إسرائيل» من جعل أميركا تشنّ حرباً مباشرة على إيران لإخضاعها، وعلى سورية لامتلاك قرارها بعد إسقاط رئيسها، إضافة إلى ما تفعله العصابات الداعشية في سورية والعراق من أعمال ذبح وقتل وتهجير للمسيحيين والايزيديين والآشوريين، وتدمير للمتاحف التراثية والتاريخية وللأديرة والكنائس وكلّ بيوت العبادة، لهذا كان الاتفاق الخليجي - «الإسرائيلي» من أجل تطويع اليمن هو الإنذار الأخير للرئيس باراك أوباما الذي يبدي ليونة حسب زعمهم في التعاطي مع كلّ هذه الأحداث التي تحاصر «إسرائيل» وتشكل خطراً عليها، خصوصاً، حسب زعمهم، امتداد النفوذ الإيراني من سورية إلى لبنان فالعراق والبحرين، وأخيراً لا آخراً اليمن، لهذا كان على «إسرائيل» الإيعاز لحلفائها من حكام الخليج بشنّ الحرب التأديبية على اليمن، ومن خلالها ضرب مشروع الصمود والتصدّي الذي تمثله سورية والمقاومة في لبنان وفلسطين والعراق ومن خلفهم إيران، بغاية تفكيك هذا المشروع الذي تتبيّن منه الهيمنة الإيرانية حسب زعمهم.

لكن ما يؤسف له أنّ حكام الخليج الذين أقدموا على هذا الفعل الشيطاني المدمّر، لم يقرأوا التاريخ ولم يرجعوا سنوات إلى الوراء، ليلحظوا أنه حين قامت ثورة اليمن على الملكيّين، وأعني الإمام بدر الذي ناشد الحكم السعودي طالباً مساعدته على كبح ثورة الضباط الأحرار في المهد، الذين بدورهم ناشدوا الرئيس جمال عبد الناصر من أجل مساعدتهم على التخلص من الملكية الظالمة وإعلان جمهورية العدالة والتنمية التي سرقت مضامينها في ما بعد، من حكمٍ طال واستمرّ، وفسد وأفسد، وكانت النتيجة ما هو حاصل حالياً في اليمن.

التاريخ اليوم يعيد نفسه، فإذا عدنا إلى هذا الماضي، نجد أنّ المملكة السعودية تعاونت حينها مع «إسرائيل» لضرب ثورة الضباط في اليمن، إذ قامت الطائرات «الإسرائيلية» بالتحليق على طول السواحل السعودية وأقامت جسراً جوياً من أجل تزويد الإمام بدر بالأسلحة المطلوبة لقمع حركة الثورة، وكانت تلك الطائرات تتزوّد بالوقود في طريق العودة من الصومال وجيبوتي، كما أرسلت أميركا الأعتدة الحربية التي حملتها طائراتهم، كي يتم تسليمها للطيارين السعوديين الذين سيقودونها إلى اليمن، لكن ما لم يكن في الحسبان هو فرار أولئك الطيارين السعوديين إلى مصر رفضاً لضرب إخوتهم في اليمن، والقصة ذكرها الكاتب والصحافي المصري محمد حسنين هيكل في كتابه «سنوات الغليان»، الذي يؤكد أيضاً قيام قائد الطيران الملكي الأردني حينها باللجوء إلى القاهرة، وكشف تفاصيل اشتراك النظام الأردني في العمل ضدّ ثورة اليمن.

ومما وثقه أيضاً الصحافي الكبير هيكل في كتابه عن ثورة اليمن الأولى التي بدأت في 26 أيلول 1962 واستمرّت 7 سنوات ويجب قراءته من جديد، هو أنّ الرئيس جمال عبد الناصر تلقّى رسالة من الرئيس الأميركي جون كنيدي قال له فيها: «إنني شديد القلق من أن يؤدّي الصراع في اليمن إلى تعريض استقرار المنطقة للخطر، وإنني بصورة شخصية وسرية اقترح عليكم تنفيذ الخطة الآيلة إلى فضّ الاشتباك بشكل متبادل على أن يبدأ من قبلكم، وأنا موجه رسالة بهذا المعنى إلى كلّ من ملك السعودية وإلى الملك الأردني وإلى قائد الثورة اليمنية الضابط عبدالله السلال، وبمجرّد صدور البيانات المناسبة تبادر الولايات المتحدة الأميركية إلى إعلان اعترافها بالجمهورية العربية المتحدة». نفذت الخطة، طبعاً، بعد مشاورات ومباحثات وإرسال مندوبين من الأمم المتحدة، أدّى في النهاية إلى تنفيذ الإدارة الأميركية وعدها بالاعتراف بحكم عبدالله السلال رئيساً للجمهورية العربية اليمنية، وفي المساء نفسه اعترفت أوستراليا وكندا، وأثار هذا الموقف غضب كلّ من الرياض وعمان ولندن و«تل أبيب»، لكن لم يلق الاعتراض آذاناً صاغية وصوّتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية 73 صوتاً لصالح النظام الجمهوري في اليمن، وتمّ طرد مندوب العهد اليمني البائد.

هذا التاريخ يطلّ علينا بكلّ فصوله، فباب المندب هو مربض الحدث، و«إسرائيل» تخاف على قواعدها العسكرية في أريتريا، وحكام الخليج خائفون من سيطرة إيران على منافذ البحار المحيطة بالمنطقة وصولاً إلى ساحل المتوسط، لكن ما يجري على الأرض اليمنية سيخضعهم إلى الإنذار الأميركي الأخير القاضي بضرورة الحلّ السلمي في سورية وصولاً إلى تهدئة المنطقة، فالقادم من الأيام سيحمل ربما تطورات تذكرنا بما سلف... خصوصاً ونحن نسمع الرئيس بشار الأسد يصرّح إلى إحدى وكالات الإعلام الأميركية CBS بعدم رفض الحوار السوري مع الإدارة الأميركية... معطوف عليها تراجع أميركا عن تصريحاتها السابقة بشأن إسقاط الرئيس الأسد وبداية تمرير الحلّ السلمي في سورية الذي لن يصحّ إلا بوجود الأسد، أضف إلى ذلك أنّ أميركا أصبحت على قناعة تامة بأنه لا يمكن القضاء على الإرهاب الذي يقلقها كما يقلق أوروبا إلا بتضافر جهود سورية والعراق وإيران، بعد أن أثبت حكام الخليج حلفاء أميركا الدائمين فشل سياساتهم التي ولّدت «القاعدة» و«داعش» ومثيلاتهما.